



لم أكن أريد الحديث منذ زمن طويل، لولا أن الجميع يتحدث، فلئن كان حديثي نافعاً فهذا ما رجوت، وإن كان باطلًا فليس هو حديث رأس مطاع ليضرّ، ولا حديث علم من الأعلام. فليعدّه القارئ حينها من جملة الغثاء الذي ازدحم وعمّ وطم.. وأما الزيد فيذهب جفاءً.

صارت جبهة النصرة (تنظيم القاعدة في بلاد الشام) مع تسارع الأحداث الأخيرة حديث القاصي والداني هذه الأيام، من محب وبغض، ومتخوف ومتوجس، وناقد ومحرج.

فمن قائل أن النصرة ستؤول لداعش، فهي خطر ووبال على الثورة، وهذا رأي طائفة من الثوريين وغيرهم.

ومن مبرئ للنصرة تمام التبرئة من الجهاديين.

ومن متوجس من تصرفات وسياسة النصرة في الآونة الأخيرة، من قادة الكتائب الجهادية الشامية أمثال أحرار الشام وغيرها.

وقد لاحظت أثناء متابعتي لصفحات بعض الناشطين الإعلاميين الثوريين ذوي الشعبية التي لا يستهان بها امتعاضهم من النصرة، ولا لاحظت أيضًا أن شعبية الجبهة تراجعت بشكل ملحوظ..

أقول، يمكننا استعراض مسيرة جبهة النصرة في عدة محاور.

المحور الأول: قبل إعلان التمرد

كانت الجبهة حينها مشتغلة بالنظام النصيري ومحظ ترحيب من عامة الشعب وحفاوة، ونكايتها في النظام واضحة جلية للمتابع، ولا ينسى الناس تلك الجمعة التي هتف فيها الثوار ضد قرار تصنيف جبهة النصرة على قائمة الإرهاب.

المحور الثاني: ما بعد إعلان تمدد داعش

تعرضت الجبهة لانهيار كبير في صفوفها الداخلية لولا الله ثم وقفة أحرار الشام معها، فقد وقف معها الأحرار وقفًا لا يعرف كواليسها الكثير، حتى عادت للجبهة بعض قوتها شيئاً فشيئاً.. وحتى صدر حكم د. أيمن فعاد بعض من هاجر هجرة عكسية لداعش إلى أحضان الجبهة من الشباب الجهادي.

المحور الثالث: المعركة مع داعش

أبلت الجبهة بلاءً حسناً في قتال خوارج داعش بعد استبانت أمرهم لكتائب الشامية، وقدمت أكثر من ألفي شهيد لقتال الخوارج، وتولالت المعركة الميدانية في دير الزور.. والمعركة الشرعية ضد حجج الخوارج فأصدرت الجبهة كتاباً للتأصيل الشرعي ضد إعلان التمدد، مثل كتاب "الرد على رؤبة الدولة" لأبي الليث الأنصاري، وتولى أبو مارية القحطاني الشرعي السابق للنصرة إصدار بيانات وكتب كثيرة في محاربة الفكر الداعشي الخارجي وغيره من رموز الجبهة الشرعية.

المحور الرابع: ما بعد معركة دير الزور

حدثت في الجبهة تغيرات غير حسنة بعد معركة دير الزور وانتهائها لصالح داعش، فتمت إقالة رأس حرب الغلو فيها أبي مارية من منصبه، وتعيين الدكتور سامي العريدي في مكانه.

والدكتور سامي هو من خط الجهاديين الأردنيين، وهذا الخط جر على النصرة المتاعب والتخيط بضيق فهمهم للسياسة الشرعية الحسنة، يظهر هذا جلياً في تعسف الدكتور بالرد على توقيع الأحرار على ميثاق الشرف الثوري، ونلاحظ حينها صدور تغريدات من أبي مارية تطمئن الشباب بحسن ظنه بالأحرار، وأن الأحرار إخواننا ولم يريدوا إلا خيراً.

ما يعني تبايناً واختلافاً في رؤيتي من شغلوا منصب الشرعي العام للنصرة، يفهمه ويدركه من يتبع الخط العام لطرحهما. وتغير خط الشرعي العام لجماعة يعني تأثيراً كبيراً على سيرها وسير شبابها، لمركزية هذا الدور وأهميته.

بعد رد الدكتور سامي كتب الشيخ أبو عبد الملك الشرعي ردًا شرعاً مؤصلاً حسناً شافياً يشرح فيه استشكالات الدكتور بعنوان (نصح ونصرة لجبهة النصرة)، وكتب الشيخ شادي المهدى ردًا جميلاً حسناً في مقال (الجهاد الشامي مآلات واجتهادات) وكان مضمون مقاله الرد على توجسات الجهاديين من الموافقة على ميثاق الشرف.

ورغم ذلك كتب الدكتور سامي ردًا عجيباً على رد أبي عبد الملك، تعسفه واضح كسابق رده الأول، وهذا يدللنا على أنفق الشرعي العام لهم، فعندما يتولى أمر جماعة جهادية شرعياً تضيق لديه مساحات الفهم لضرورة الاصطفاف على المتفق عليه مع مكونات الثورة الأخرى، فلا عجب أن تكون مساحات الانطلاق عند جنوده أضيق وأضيق.

والفقيه هو الثقة الذي يفتى بالرخصة أما التشديد فكل يحسنه كما قيل. على أن التوقيع على ميثاق الشرف ليس ترخصاً بل هو عين الواجب في حشد الصفوف والاصطفاف مع كل مكون من مكونات الثورة على ما تتفق عليه ضد الحلف النصيري الراهن.

كانت هذه المرحلة غير مبشرة بخير ولكنها أقل خطراً من المرحلة التي تلتها!

المحور الخامس: تعيين سعد الحنيطي قاضياً عاماً للجبهة

كانت هذه المرحلة عبارة عن اختراق داعشي صريح للجبهة من المدعو الحنيطي، وليس العجيب أن ينشق جنود وأفراد من النصرة إلى داعش، إنما المذهل والغريب أن ينشق صاحب منصب رفيع يخوله الإطلاع على كثير من الخبايا إلى خصمك اللدود، وقد أحدث الحنيطي فساداً عريضاً أثناء توليه لمنصبه عبر دور القضاء، وكان قادة الأحرار على تضليل منه وتوجس كبير، حتى صدق الله ظنونهم بعد استشهادهم لينشق المدعو عن النصرة إلى داعش.

وهنا أمر مهم: كانت تغريدات الحنيطي مكتنزة بالجهل والغلو قبل انشقاقه، مما يعني وجوب وضوح أمره عند قيادة النصرة، فكيف تغاضت عن هذا لتستمر في توليه هذا المنصب الكبير؟

المحور السادس: ما بعد ضربات التحالف

بدأت سيطرة تيار معين من القادة العسكريين على مفاصل النصرة، وهم القادة الأردنيون بعد بدء الخطة الداعشية بتدمير النصرة عن طريق اغتيال خيرة قادتها الشاميين مثل أبي محمد الفاتح ويعقوب العمر وغيرهم.

وبصراحة شديدة، وبدون تعصب جاهلي إطلاقاً، لو أرادت النصرة إصلاح حالها فيجب عليها إبعاد الخط السلفي الجهادي الأردني عن مفاصل قرارها فوراً، فهذا الخط متزمن، ولا يفقه في السياسة الشرعية الكثير، وتعيين أهل التشديد على الناس في مناصب كبيرة يضر بالجماعة ويجنح بها نحو خط غير منضبط.

والصواب هو إيجاد بديل من أبناء سوريا أنفسهم وليس من دعوى الجاهلية لمن سيهرف بما لا يعرف، فمن حسن الفقه وال بصيرة عدم تنحية رؤوس قوم عن قومهم، وسياسة الناس بما يقبلونه ولا ينفرون منه.

ولو أن رجلاً عدا على بيته لص فاستدرج بجاره ليساعده، وبعد مجيء الجار قال: أنا سأتولى إدارة بيتك لأنني أكثر كفاءةً منك، لكن فعله وقاحة محضة، والأوّل منها أن يشاهدكم ثالث فينسب هذا الفعل للشرعية.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقدم إليه الأقوام فيستبقي رؤوساً منهم لتعليمهم ثم يرسلهم إلى أقوامهم ليتولوا سياستهم وإرشادهم، وكل ما من شأنه تأليف قلوب المسلمين لمن يشغب، فهو مطلوب شرعاً، فالشرعية التي جاءت بفرض نصيب من الزكاة للمؤلفة قلوبهم وهو كفرة، من البهتان عليها ادعاء أن مقصد تأليف قلوب المسلمين ليس من مقاصدها ومن تأليف قلوب أهل كل مصر من الأمصار، سياستهم برؤوسهم وأبنائهم.

جدل البيعة للقاعدة:

كثر الحديث حول بيعة النصرة لتنظيم القاعدة، والحقيقة أن البيعة للقاعدة تفيد من جهات، وتضر من ذلك كال التالي:

1- عند بدء إعلان داعش كان من المفید وجود منافس تنظيمي يتعسکر حوله الشباب الجهادي، فالكثير منهم ما زال ملبوساً بعقد البيعات ولا يسعه أن يبايع الأحرار مثلاً.. لعدم حصولها على التعميد بماء القاعدة المقدس! فكان وجود فرع للقاعدة مفید في استقطاب الشباب الجهادي بعيداً عن محنة التفخيخ والتتجهير في المسلمين.

2- وجود القاعدة يعطي مساحةً لسقف معين للجبهة الإسلامية مثلاً، لطرح مشاريعها السياسية الإسلامية، لنفهم هذه النقطة، لو لم يكن موجوداً إلا الجبهة الإسلامية والجيش الحر، وكانت الجبهة الإسلامية هي المستبعدة وكان الجيش الحر هو الذي يستطيع التحرك وفرض قراره السياسي، ولو لم يكن موجوداً إلا الجيش الحر والائتلاف، لكن الجيش الحر هو المستبعد

والاتلاف هو الذي سيتحرك. فوجود جهات أكثر صدامية مع الغرب يفيد الجهات التي تبني القتال القطري والمسايسة مع دول الجوار لبناء مشروعها.

وعلى كل حال تبدو هذه النظرية الرياضية بعيدة المتناول، فالذى لا شك فيه أن ضرر وجود جماعة مرتبطة بالقاعدة في ثورة شعبية أكبر من نفعه.

ليس الشعب السوري هو طالبان التي قبلت بمكوث القاعدة، وليس الشعب السوري هو الملا عمر الذي رفض تسليم أسامة بن لادن وضحي بملكه وقاتل من أجل هذا المبدأ، الشعوب لا يجوز تحملها ما لا تتحمل من عزائم المواقف والالتزامات الثقيلة، وعلى ذكر الملا عمر، فقد أثبتت الأيام بعد عقد من الحرب إلى أن يصدر بيانات صريحة تفيد أنه لن يسمح باستخدام بلاده كنقطة انطلاق لتهديد (الغرب) !!

فعالم يعيي العائدون تضائق الشعب من وجود جهة تجيد إطلاق التهديدات العابرة للقارات، كما فعل الشيخ أبو فراس السوري بعد ضربات التحالف.

3- ليس المطلوب هو رحيل القاعدة ولن يطالب أحد بها ويكون قد طالب بأمر معقول، إنما المطلوب بوضوح هو فك الارتباط عن التنظيم العالمي وهذا الطلب يعنيه أشار إليه الدكتور أيمن الظواهري، وأصدر أمراً للنصرة بفك ارتباطها بالقاعدة والدخول في مشروع الجبهة الإسلامية أيام الشيخ أبي خالد السوري ولكنها رفضت، وقد صرخ الشيخ أيمن أنه لم يكن يريد إعلان وجود فرع للقاعدة في الشام، وهذه النقطة تحسب له ويشكر عليها وتدل على نفسِ تزيد الخير لأهل الشام بعيداً عن الانتماءات الحزبية.

وقد لمح الشيخ أيمن بشكل واضح يفهمه كل سامع في رسالة صوتية له لمجاهدي الشام، أن أي تجمع إسلامي يجب على المجاهدين الارتباط به ولو أدى ذلك لإلغاء ارتباطهم التنظيمية، فلم يسمع نصيحته أحد للأسف.

4- عقب تجاوز مرحلة إعلان داعش التي التبس فيها أمرها على الشباب الجهادي وصار إجرامهم واضحًا لكل ذي بصيرة، تلك المرحلة التي كان من المفید فيها وجود فرع قاعدي يستقطب الشباب، أصبح الآن فك الارتباط بالقاعدة ضرورة لمن بهم حقن دماء مسلمي الشام وتجنيبهم ويلات تكالب الأمم، خاصةً وأنها ثورة شعبية، والثورات لا تتحمل ما يتحمله البلد المتعرض لغزو خارجي فهي قرار داخلي من الشعب نفسه على عكس الغزو، والآن لو فكت النصرة ارتباطها بالقاعدة فلن يكون انشقاق من ينشق عنها من الشباب إلى صالح داعش وقد استبان إجرامها، لن يكون هذا الانشقاق إلا حالةً صحيةً لها وتنقيةً لصفوفها من المترددين ضيق الأفق الذين لا يتصورون نصرة الإسلام أن تتم إلا عبر طقوس تنظيمية معينة ما أنزل الله بها من سلطان..

حول النصرة وداعش:

أرجو لجبهة النصرة صلاح الحال، ومن المعيب ما نجده من بعض الثوريين من جحود لجهود لهذه الجبهة المجاهدة، وإنكار جهادها وحسن بلائها في الدفاع عن المسلمين، وتسويتها بداعش الإجرام.

كيف وهي من كانت رأس حربة في قتالهم ووضحت بمئات من خيرة جنودها في صد تغولهم على الشعب.

أقول للناقدين الغاضبين:

لا تعينوا الشيطان على إخوتكم، لا تدفعوا بإخوتكم إلى أحضان داعش بإنكار جهادهم وشيطنتهم وكأنهم عصابة لم تجلب إلا

الويلات للشعب السوري، ما هذا سبيل المصلحين، إن كانت جبهة النصرة فيها كذا وكذا من الملاحظات فأنت تعلمون جيداً أن جل الكتائب لا تخلي من معايب ومثالب وتعديات وكوارث.

للتتو قتل منتسبيون لحركة حزم قيادياً في أحرار الشام لأنه (أنكر) على من سب الله تعالى، أسئلة لو أن الجبهة قتلت رجالاً بتهمة الردة – افتراضاً –، كيف سيكون الرد؟

وما الفرق بين قتل رجل بتهمة الردة (قتله زوراً) وبين قتل رجل لأنه أنكر مجرد إنكار على من سب الله تعالى؟ فالمقصود أنه إن كان هناك من تخشى جنوحهم للغلو، فهناك من تعدوا على الناس في دينهم من الكتائب الفاسدة.

والواجب النصح والنقد بعدل وإنصاف، دون تفريط ولا إفراط.

هذا والله أعلم، وما قلت من خطأ فمن نفسي والشيطان وما قلت من صواب فمن الله وحده.

المصادر: